ثورجية وأزهري

جمعتهم الصدفة البحتة داخل عربة مترو الأنفاق خط المرج – حلوان، أكثر من ثلاثين راكبًا يتغير بعضهم من محطة لأخرى، مختلفون في الأعمار والاتجاهات، كان القاسم المشترك في حوارهم هو حالة مصر المأساوية في عهد الرئيس المعزول محمد مرسي وجماعته. بدأ الحديث بينهم عندما سأل شاب ثلاثيني تظهر على وجهه علامات اليأس صديقًا له من نفس عمره، يجلس بجانبه عما إذا كانت حال البلد ترضيه.

فألقى الشاب بعدد من التُّهَم على الإخوان.. منها: تهريبهم للمواد البترولية وغيرها إلى غزة عبر الأنفاق وحرمان الشعب منها، ودعا الله عليهم، قائلا:

– الله يخرب بيوتهم واليوم اللي انتخبناهم فيه. ويا ريت تعود أيام الرئيس المخلوع حسنى مبارك بحلوها ومرها.

واسترسل:

– الإخوان خربوا بيوتنا، وأوقفوا حالنا، وأدخلونا في مشاكل حتى مع بعضنا البعض.

وقبل أن يصمت المتحدث، عاجله شاب «إخواني» بعدد من الاتهامات منها أنه

فلول، ومن أنصار جماعة «آسفين يا ريس»، ومن أرامل الفريق أحمد شفيق، الذي هرب إلى الإمارات، وظل هذا الإخواني يدافع عن «مرسي» بكلمات لم تقنع الركاب مثل أنه «أول رئيس مصري يحفظ كتاب الله ويعمل به»، وأنه «طليق اللحية، ويصلي الفرض بفرضه»، و«حاصل على درجة الدكتوراه في الهندسة» و.... و.... وتساءل الشاب الإخواني:

– هل كان يجرؤ أحدكم أن يعترض على نظام حسنى مبارك الذى أذلكم ونهب ثرواتكم طوال 30 عامًا؟!

ولأن الركاب كانوا ينظرون إليه بنوع من السخرية، ولم يُلقوا لكلامه أي اهتمام؛ اضطر هذا الإخواني أن يستكمل حديثه متسائلاً:

– لماذا إذًا لا تمنحون د. مرسي الفرصة للعمل مثل مبارك الذى عينه الرئيس الراحل أنور السادات بأوامر أمريكية؟ فـ«مرسي» رئيس منتخب، جاء إلى سدة الحكم برغبة شعبية عن طريق الصندوق.

وما إن سمع هذه الكلمات رجل خمسيني عرف نفسه أنه مُحامٍ، حتى استشاط غضبًا، وأطلق العنان للسانه، موضحًا مغالطات الشاب الإخواني، وقال متهكمًا:

– معنى كلامك أن «مرسيكم» لم يأتِ بأوامر أمريكية؟! يا أخي أنا رجل قانون، وأفهم جيدًا ألاعيب الجماعة وأساليبها في مثل هذه الأمور، وكذلك تاريخها الأسود في الانتخابات السابقة ودستورها المسلوق؛ لذا أنصحك وأنصح غيرك بمراجعة تاريخ إخوانك وعلاقتهم مع الأمريكان والإنجليز معًا، واسأل أيضًا المنشقين عن الجماعة: لماذا ابتعدوا عنها وشهروا بها؟ ويضيف المحامي:

– ليتك أيها الشاب الذي تربى وترعرع على «السمع والطاعة العمياء» تسأل قادتك عن سبب نشأة تنظيمهم السري وهدفه.. وكذلك عدد العمليات الإرهابية

التي قاموا بها ضد هذا الشعب المكلوم باسم الإسلام، والإسلام منها بريء. وإن لم تجد إجابة عن أسئلتي من إخوانك، فانظر حولك، وابحث عن ملفاتهم التي دمروا أكثرها في مقار مباحث أمن الدولة أثناء ثورة 25 يناير. وحتى لا نبتعد أرجوك أن تتابع مذبحتهم الحالية ضد القضاء، بعد أن «أخونوا» الداخلية، ويحاولون فعل الشيء نفسه مع الجيش.

وبعد أن انتهى المحامي من هجومه على الجماعة، وقبل أن يرد الشاب الإخواني بكلمة واحدة، إذ بفتاة عشرينية تنتمي لحركة «6 إبريل» كما عرَّفت نفسها أيضًا، وعلى ما يبدو أنها غرر بها شباب هذه الحركة لأسباب عديدة تم كشفها فيما بعد، تقول:

– الثورة مستمرة رغم أنف الحاقدين وأصحاب المصالح المشبوهة. الثورة مستمرة رغم أنف الإخوان المسلمين الذين سرقوها، وتآمروا عليها. الثورة مستمرة حتى نحصل على حقوق الشهداء والمصابين منذ 25 يناير وحتى الآن. الثورة مستمرة حتى تحقق أهدافها التي قامت من أجلها، وهي «عيش.. حرية.. عدالة اجتماعية.. كرامة إنسانية».

وتردف:

– الثورة مستمرة، وستكشف مؤامرات الإخوان ضد مصر والمصريين. الثورة مستمرة وسنتصدى لأخونة الدولة ونسقط حكم المرشد إن عاجلاً أم آجلاً.

فجأة ذرفت الفتاة دموعًا غزيرة، وبح صوتها وانقطع، وهنا علا صوت الركاب عدا الشاب الإخواني مرددين:

– «الثورة مستمرة.. الثورة مستمرة.. ويسقط حكم المرشد».

فيما انتفض رجل أربعيني فجأة، ورد على الفتاة قائلاً:

- شباب 6 إبريل عملاء، إما للأمريكان أو للإخوان.

فلم تستطع أن ترد عليه الفتاة، ولا حتى أي شخص من الركاب سوى بعلامات الدهشة والتعجب التي ارتسمت على وجوههم.

وأبى سبعيني أزهري أن يفوته هذا الحوار دون أن يُدلِيَ فيه بدلوه، وبعد أن عرَّف نفسه، قال:

- عاصرت الرؤساء: محمد نجيب وجمال عبد الناصر والسادات ومبارك، وكنت متابعًا جيدًا لكل ما مر به الأزهر الشريف طَوالَ 70 عامًا، هي عمري الآن، فلم أجد أحدًا قد استهان وأهان هذه المؤسسة العريقة وشيخها مثلما حدث ويحدث الآن في زمن الإخوان المسلمين!!

وأكمل الشيخ:

- لقد «أخونوا» وزارة الأوقاف بالكامل، ويريدون أن يسيطروا على الأزهر الشريف، ويعينوا له شيخًا إخوانيًّا؛ حتى يمرروا من القوانين ما يريدون.

واختتم باكيًا:

- اللهم أنقذ مصر والمصريين من هذه المؤامرة الدنيئة.

وردد الركاب خلفه:

- اللهم آمين.

وفى خضم هذه المناقشة حامية الوطيس، ظهرت سيدة مسيحية تتجاوز الـ 60 عامًا، وتساءلت:

- هل أعجبكم الاعتداء الأخير على الكاتدرائية في العباسية؟! وهل هذه الأحداث بداية فتنة طائفية أم حرب أهلية قادمة بمباركة إخوانية - سلفية ورعاية

أمريكية – تركية – إيرانية – إسرائيلية – قطرية؟!

واستطردت السيدة:

– هل تتذكرون الأيام الـ 18 الأولى لثورة 25 يناير؟.. لقد كنا كالجسد الواحد، القوة الواحدة صاحبة الهدف الواحد، وهو خلع النظام السابق الذى جثم على صدورنا لمدة ثلاثة عقود. وقد كان لنا ما نريد، والآن أسألكم جميعًا:

– من الذى تسبب في تقسيمنا ويهدد وحدتنا؟ ثم إلى أين تأخذنا جماعة الإخوان المسلمين؟!

لحظتها توحدت إجابة الركاب على اتهام الإخوان بأنهم سبب فشل الثورة وتردِّي أوضاعنا.

وفي أثناء هذه المناقشات، تدخل في الحديث ثلاثة جنود من قواتنا المسلحة، يخدم أحدهم في منطقة رفح، فقال:

– أنا أحد الشهود على دخول وخروج الحمساوية من مصر وإليها دون حسيب أو رقيب.

وانضم إليه زميلاه في انتقاد نظام الإخوان واتهام عناصره بالفشل الذريع في إدارة البلاد والتآمر عليها، مستشهدين فيما ذهبوا إليه بما تعرضت له المحروسة منذ فوز «مرسي» بالرئاسة وحتى حينه من كوارث تهدد الوحدة الوطنية.

خلال هذا الحديث فوجئت بالشاب الإخواني يقول للركاب:

– إذا تحدث أهل الباطل، فعلى أهل الحق أن يلتزموا الصمت.

لكن الركاب لم يردوا عليه، أو يعيروه أي اهتمام، حتى انصرف كل منهم إلى حال سبيله.

كل ذلك وأنا أسجل ما يدور في «نوتة» صغيرة أحتفظ بها دائمًا في جيبي لمثل

هذه المفاجآت.

وقد خرجت من هذا الحوار الذى لم أنطق فيه بكلمة واحدة بعدة ملاحظات، كان أهمها:

- وجود حالة من اليأس والإحباط عند أغلب المصريين للأسباب التي سبق وتحدث عنها كثير من هؤلاء الركاب، وسألت نفسى عن كيفية الخروج من هذا النفق المظلم الذى وضعنا فيه الإخوان المسلمون.

- وتأكد لي ضرورة القيام بثورة ثانية؛ لتطهير البلاد من عملاء الداخل والخارج في آن واحد، ورأيت أن هذه الثورة لا بد لها من رأس مفكر مع الجسد الذي سيقوم بها.

- وذلك حتى نستطيع أن نعيد هيبة الدولة التي أوشكت على الانهيار، بعد أن نوحد صفها في ظل الانقسام الديموغرافي، قبل أن ننقسم أيضًا جغرافيًّا على غرار السودان والعراق وليبيا (لا قدر الله)!.. انتهى.